المدينة البيضاء

محمود سالم

المدينة البيضاء

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

المدينة البيضاء

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٤ ٢٨٥٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩١.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
سرُّ المغامرة المزدوجة!	١١
الدكتور «جوفير» يفتح الطريق!	١٧
مفاجأة في المطعم!	٢٣
«داندي» يردُّ الدعوة!	٢٧
الاقتراب من الهدف!	٣٣
النار لا تحرق!	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

سرُّ المغامرة المزدوجة!

عندما انتهى رقم «صفر» من قراءة التقرير الذي أمامه، رفع سماعة التليفون، ثم أجرى حديثًا سريعًا.

كان الحديث مع عميلِه في ألمانيا، بعدها ضغط زرًّا في المكتب، فتردَّد صوتٌ في قاعة البلياردو، حيث يوجد الشياطين، كان الشياطين في هذه اللحظة يلعبون مباراة نهائية في بطولة البلياردو لهذا الشهر، وكانت المباراة بين «أحمد» و«عثمان» ... كان «أحمد» يختار الزاوية الصحيحة ليضرب منها الكرة. عندما تردَّد الصوت ... توقَّفَت يدُه، ثم نظر إلى الشياطين، وقال: إنه اجتماعٌ عاجل في القاعة الصغرى. ابتسم «عثمان» وقال: إذن فالبطولة معلَّقة ... حتى تنتهيَ المباراة.

قال «أحمد» وهو يضحك: لا بأس، وإن كنتُ متقدمًا في عدد النقط.

بسرعة أخذ الشياطين طريقَهم إلى القاعة الصغرى، وعندما جلسوا أُضِيئت الخريطة الإلكترونية، وظهرَت فوقها خريطةٌ لـ «ألمانيا» الموحَّدة. بعد لحظة تغيَّرَت الألوان والأسماء وظهر تقسيمٌ للألمانيَّتَين؛ ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية ... مرَّت دقائق ثم تغيَّرت الألوان والأسماء مرة أخرى، وعادَت إلى حالتها السابقة ألمانيا الموحدة. ابتسم «أحمد» ابتسامةً لفتَت أنظار الشياطين.

قالت «زبيدة»: يبدو أن «أحمد» لديه معلوماتٌ جديدة.

قال «عثمان»: سوف يقولها سريعًا ... قبل أن تُصبحَ قديمة.

ثم ضحك، فضحك «أحمد» وهو يقول: هي ليست معلوماتٍ كما تظنون، إنه مجرد استنتاج، أرجو أن يكون صحيحًا.

قال «فهد»: لا بد أنك ما زلتَ تتذكَّر ما نُشر في صحف الأسبوع الماضي.

ضحك «أحمد» وهو يُردِّد: يبدو أنك وضعتَ يدك على ما أفكِّر فيه يا عزيزي «فهد»!

ابتسم «فهد»، وقال: لقد شغلني ما قرأته فعلًا ... لكني لم أكن أتصور حدوثَ شيء آخر ... فقد رأيتُها مسألة طبيعية. صمتَ لحظة ثم أضاف: هذا إذا كانت الخريطة لها علاقة بما قرأته.

قالت «ريما»: إنكم تتحدثون بالألغاز وكأنها مغامرة سرية.

ضحك «أحمد» في نفس الوقت الذي جاء فيه صوت رقم «صفر» يقول: هي ليست مغامرةً سرِّية على كل حال، ولكن الشيء الرائع ألَّا تمرَّ هذه المسألة على «أحمد» أو «فهد» ببساطة؛ لأنها قضية كان ينبغي أن تستوقفَكم جميعًا.

نظر الشياطين إلى بعضهم؛ فقد كان صوت الزعيم يحمل نوعًا من العتاب.

قال: لا بأس، سوف أعود بعد لحظات.

ثم اختفى الصوت. نظرَت «إلهام» إلى «أحمد»، ثم «فهد»، وقالت: أصبحنا في موقف لا نُحسَد عليه.

ابتسم «فهد» وقال: ليس إلى هذا الحد، مع ذلك دعونا نستعيد ما قرأناه في الفترة الأخيرة.

نظر إلى «أحمد» ثم أضاف: نعرف جميعًا أن العالم يمرُّ بمرحلة من المتغيرات التاريخية؛ مثل: أوروبا الموحدة ... وتوحيد شطرَي ألمانيا، وهذه هي قضيتنا.

صاحَت «ريما»: تذكَّرتُ، تقصد هجرةَ العلماء من ألمانيا الشرقية إلى ألمانيا الغربية.

ردَّ «فهد»: بالضبط هذه هي القضية.

قال «خالد»: أعتقد أنها مسألة طبيعية أن تتمَّ هذه الهجرة بعد توحيدِ ألمانيا، وهي ليست هجرةً بالمعنى المفهوم، ما هي إلا الانتقال من مكان إلى مكان داخل بلد واحد ...

تدخَّل «أحمد» في الحوار: أعتقد أنَّها مسألة لافتة للنظر ... فالهجرة بهذا الشكل أو حتى الانتقال كما يقول «خالد» يتمُّ بطريقة جماعية، بما يعني تصفيةَ ألمانيا الشرقية سابقًا من العلماء، قد ينتقل عالم أو اثنان، لكن أن يكون الانتقال جماعيًّا فهذه حكاية ليست عادية!

أضافَت «إلهام»: إنهم بذلك يحكمون على ألمانيا الشرقية بالتخلُّف.

ردَّ «عثمان»: ما دامت ألمانيا قد توحَّدَت، فإن التقدم الذي سيحدث سوف يشمل الألمانيَّتَين، المسألة إذن ليست مزعجة.

جاء صوت رقم «صفر» يقول: إنَّ القضية ليست ألمانيا، إنها قضية من أهم وأخطر القضايا بالنسبة لنا.

صمتَ لحظة ثم قال: إنني في الطريق إليكم.

أخذ صوتُ أقدامه يقترب حتى توقَّف ... مرَّت لحظات ثم تغيَّرت الخريطة، وظهرَت خريطةُ الوطن العربي من المحيط إلى الخليج. نظر الشياطين إلى بعضهم، واستغرق «أحمد» في تفكير عميق، لقد اكتشف أنه فكَّر في القضية عند حدودها المنشورة في الصحف، وإن كانت تتعدَّى ذلك. استعاد في ذهنه كلماتِ رقم «صفر» الأخيرة التي يقول فيها: إن القضية ليست ألمانيا ... إنها قضية من أهم وأخطر القضايا بالنسبة لنا ...

قال في نفسه: إذا كان ذلك صحيحًا، فإنها تكون قضيةً خطيرة فعلًا، كما قال رقم «صفر». فجأةً جاء صوت الزعيم يقول: أظنُّ أنَّ الخريطة قد حدَّدَت لكم مدى خطورة القضية!

سكت قليلًا ثم أضاف: إن ما يحدث في ألمانيا الآن يحدث في الوطن العربي أيضًا.

اتسعَت أعينُ الشياطين دهشةً، وأخفى «أحمد» ابتسامةً كادَت تظهر على وجهه؛ فقد فكر فيما يعنيه رقم «صفر». قال الزعيم: أنتم تعرفون أن الوطن العربي يُحاول أن يلحق بركب الحضارة الحديثة خصوصًا في جانبها العلمي ... وقد تحقَّقَت أبحاثٌ ممتازة في مجالات كثيرة على يد العلماء العرب.

ومنذ الإعلان عن قيام أوروبا الموحدة ظهرت القضية.

صمتَ رقم «صفر» مرة أخرى في الوقت الذي كان الشياطين يتابعونه باهتمام شديد ... أضاف بعد قليل: لقد درستم التاريخ العربي، وتعرفون أنه عندما كان العرب يتقدمون علميًّا ... كانت أوروبا تعيش حالةً من التخلُّف، ونقل الأوروبيون العلوم العربية، ثم بدءوا يطورونها ويستفيدون منها في حين توقَّفنا نحن ... وهذه هي كارثتنا الحقيقية.

سكت رقم «صفر» لحظة، ثم قال: وفي العصر الحديث بدأت الدول العربية تتجه نحو العلوم، وظهر علماءٌ كبار حققوا شهرة عالمية، وبدأت المؤامرات حول العلماء العرب ... وأنتم تعرفون قضيةَ اغتيال الدكتور المصري «يحيى المشد». إنهم لا يريدون لنا أن نتقدم، وأن نأخذ مكاننا ... والآن بدأت المؤامرة الجديدة ... إن هناك تنظيمًا أجنبيًّا يدفع العلماء العرب إلى الهجرة، ويجعلهم يتركون بلادهم التي تحتاجهم ليعملوا في دول أخرى.

مرَّت دقيقة قبل أن يُكملَ حديثه: إنَّ هجرة العقول العربية العظيمة لا تتمُّ برغبة هؤلاء العلماء، ولكن بإغرائهم. إنهم يقدِّمون لهم إغراءات كثيرة ... فإذا لم يخضع العالِمُ لهذا الإغراء ... فإنهم يُهددونه بالقضاء عليه!

نظر الشياطين إلى بعضهم في قلق ... في الوقت الذي صمتَ فيه رقم «صفر»، إن أفكارًا كثيرة كانت تدور برءوسهم؛ فالقضية الجديدة خطيرة فعلًا، فذلك يعني أن تظلَّ الدول العربية في حاجة دائمة للغرب ... إنه نوع من الاستعمار الجديد ... خصوصًا وأنَّ الدول العربية قد بدأَت في التفكير في إقامة سوق مشتركة يمكن أن تكون خطوة للوحدة في النهاية ... وذلك نفسه يجعل من العرب قوةً يعمل لها الغرب ألف حساب. قطع تفكيرَهم صوتُ رقم «صفر» يقول: إن تقاريرَ عملائنا في الخارج تقول: إن أربعة من العلماء العرب قد هاجروا تحت التهديد إلى بلجيكا، وتبعًا لتحريات العملاء ظهر أن هذه المنظمة التي تُطلق على نفسها «أوروبا أولًا» ... هي التي تقوم بهذه التهديدات ... إن مغامرتكم سوف يكون لها جانبان ... أولًا: إعادة هؤلاء العلماء ... ثانيًا: تدمير مقر المنظمة.

اختفى صوتُ رقم «صفر»، وظلَّ الشياطين في انتظار أن يُكمل تكليفه لهم بالمهمة ... بعد دقيقتين.

جاء صوتُه يقول: إنَّ هناك دراسةً سوف تكون بين أيديكم قبل انطلاقكم اليوم، وهي تتحدث عن هؤلاء العلماء العرب، وعن مقرِّ المنظمة، وسوف تكون لديكم خريطة بكل التفاصيل التي تُعطيكم الفرصة في الوصول إلى مقر المنظمة.

مرة أخرى سكت رقم «صفر» قليلًا، ثم قال: إن الوصول إلى مقر المنظمة، وإطلاق سراح هؤلاء العلماء سوف يكون ردًّا عليها، وسوف تعرف أنَّ هناك مَن يحمي العقول العربية.

ثم اختتم كلامه: هل هناك أية أسئلة؟

انتظر لحظة، ولم يكن عند الشياطين أية أسئلة ... إنهم فقط ينتظرون الإذنَ لهم بالرحيل ... جاء صوت الزعيم يقول: الآن ... عليكم بالانطلاق!

أخذ صوتُ أقدام رقم «صفر» يتباعد حتى اختفى تمامًا ... نظر «أحمد» إلى الشياطين، وقال: إنَّ المؤامرات حول وطننا العربي لا تنتهي ... وهذه مهمَّة شباب المستقبل الذي يجب أن يضع قضية الوطن قبل أيِّ اهتمام آخر.

وقف الشياطين في لحظة واحدة وغادروا القاعة، كانت الساعة لحظتها تدقُّ الثانية بعد الظهر. نظر «أحمد» في ساعة يده، ثم قال: سوف نلتقي بعد أن تَصِلَنا الأبحاث والأسماء.

أخذ كلٌّ من الشياطين طريقَه إلى غرفته حتى يجهِّزَ نفسَه ... وحتى يكون مستعدًّا؛ فحتى هذه اللحظة لم يكن أحدٌ يعرف مَن سيكون سعيدَ الحظ بالاشتراك في المغامرة.

عندما دخل «أحمد» غرفتَه ... عاد بسرعة إلى جرائد الأيام الماضية. جلس إلى مكتبه، ثم ضغط زرًّا في جهاز صغير ... فظهرَت جريدةُ أول الأسبوع على شاشة التليفزيون ... وفي لقطات سريعة توالَت الصفحات. وعند الصفحة الثامنة ضغط مرة أخرى على الزر ... فتوقَّفَت الصفحة وفي جانبها الأيمن بدأ يقرأ عن ظاهرة هجرة العلماء الألمان. شرد يُفكر: إنَّ الصحافة تتعرض لهذه الهجرة الألمانية، لكنها لا تتحدث عن هجرة العقول العربية! ...

قال في نفسه: لعلها مسألة عادية ... أن تتجاهل صحافتُهم ما يهمنا؛ فما يهمُّ الغرب ... هو اهتمامه بذاته ... فجأة جاء صوتٌ خافت ... تَبِعه اختفاءُ صفحة الجريدة، ثم ظهرَت أسماء المجموعة المشتركة في المغامرة ...

كانت تضمُّ: «أحمد»، «عثمان»، «فهد»، «رشيد». في نفس اللحظة رنَّ جرسُ التليفون، وجاء صوتُ «عثمان» سعيدًا، حتى إنَّ «أحمد» ابتسم. قال «عثمان»: أمامنا دقيقة واحدة.

ضحك «أحمد» وهو يردُّ: أرجو أن تجعلَها خمس دقائق فقط! ...

ردَّ «عثمان»: لا بأس ... وأرجو ألَّا تتأخر! ...

ثم انتهَت المكالمة ... فأسرع «أحمد» بتجهيز حقيبته السرية ... فهذه مغامرة مزدوجة الهدف ... عودة العلماء، وتلقين «أوروبا أولًا» درسًا لن تنساه ...

الدكتور «جوفير» يفتح الطريق!

عندما هبطَت الطائرة في مطار «بروكسل» أسرع الشياطين بمغادرتها، فلم تكن «بروكسل» هي هدفَهم. كان عليهم أن يركبوا إحدى طائرات الخطوط الداخلية للوصول إلى مدينة «إنتويرب»؛ حيث يقع المركز الذي تعمل فيه منظمة «أوروبا أولًا»، ولم يضيعوا وقتًا؛ اتجهوا إلى الجانب الذي تطير منه الطائرات في رحلاتها الداخلية، وحجزوا أربعة مقاعد على الطائرة المتجهة إلى «إنتويرب». كانت هناك نصف ساعة على موعد قيام الطائرة، وهي فرصة ليتجوَّل الشياطين في أنحاء المكان. اتجه «أحمد» كعادته إلى مكان بيع الصحف والكتب ... وهناك وقف يتأمل عناوين الكتب، والعناوين الرئيسية للصحف، توقَّفَت عيناه عند كتاب بعنوان «مستقبل البشرية». مدَّ يدَه ليأخذ الكتاب، فسمع صوتًا يقول: إنه كتاب جيد تمامًا.

التفت إلى مصدر الصوت. كان هناك رجلٌ أشيبُ الشعر، مريح الوجه، يبتسم ابتسامة طيبة.

قال الرجل: إنه اهتمامٌ عظيم منك ... أن تختار هذا الكتاب، وجيلُكم من الشباب يجب أن تكون له مثل هذه الاهتمامات؛ فمستقبل البشرية في أيديكم أنتم.

كان «أحمد» يُمسك بالكتاب بين يديه، بينما قال له الرجل: إلى أين تتجه الآن؟

ابتسم «أحمد» وقال: إلى «إنتويرب». قال الرجل في ابتسامة ودود: رائع، إذن سوف نجد فرصة للحديث، إنني متجه إليها أيضًا.

ثم قال: أُدعَى «جوفير»، وأعمل في مجال الأبحاث الزراعية.

ابتسم أحمد، وقال: أُدعَى «جيم»، وأدرس الآداب.

صاح «جوفير»: رائع، إني أهوى الأدب أيضًا؛ فالعمل الزراعي له علاقة وثيقة بالأدب.

أبدى «أحمد» دهشة، فأضاف «جوفير»: بالتأكيد ... إنَّ الطبيعة هي المكان الملهم للأحداث ... فأي عمل أدبي سوف تكون الطبيعة بالضرورة جزءًا منه.

ابتسم «أحمد» وقال: حتى لو كانت أحداثه تقع في قلب المدينة!

ضحك «جوفير» في عمق، وقال: بالتأكيد، إنَّ المدينة تحاول الآن أن ترسمَ مساحات خضراء في قلبها ... فحتى إذا لم تكن هناك حدائق ... فهناك نباتات الظل ... والبيوت كلها تقريبًا الآن فيها هذه النباتات لتحميَ نفسها من تلوث البيئة، أما إذا كانت الأحداث تدور في الريف، فإن الأمور سوف تكون أكثر روعة!

وقبل أن ينطق «أحمد» بكلمة كان «جوفير» يُضيف: إنَّ الطبيعة يا عزيزي «جيم» بتركيباتها الجميلة وألوانها البديعة هي عبارة عن قطعة أدبية نادرة الوجود ... ولذلك فأنا لا أرى اختلافًا بين الفن والطبيعة! ...

صمتَ لحظة ثم قال: على كلٍّ حال سوف نُكمل حديثَنا في الطائرة.

نظر في ساعة يده، ثم قال في دهشة: لقد انقضى الوقت ... وينبغي أن نتجه إلى الطائرة فورًا!

كان الشياطين يراقبون «أحمد» في حواره مع «جوفير». دفع «أحمد» ثمن الكتاب إلى البائع ... ثم سار بجوار «جوفير» في طريقهما إلى الطائرة ... ألقى «أحمد» نظرة على الشياطين وابتسم.

قال «عثمان»: إن «أحمد» يطبق نظرية الشياطين ... إن العلاقات الإنسانية أحسن مصدر للمعلومات.

كان «أحمد» يمشي في هدوء، وقد استغرق «جوفير» في التفكير، ألقى عليه «أحمد» نظرة سريعة، وقال في نفسه: ربما يكون أحد العلماء ...

كادَت تظهر الدهشة على وجهه؛ فقد اكتشف حقيقةً غابَت عنه: أن منظمة «أوروبا أولًا» تجمع العلماء من كلِّ التخصصات في سبيل ... نهضة أوروبا، وقد يكون «جوفير» واحدًا من هؤلاء؛ فإذا كان هذا صحيحًا فإن هذه فرصة لا يجب أن تفوت ... قال «جوفير» فجأة: إنها مسألة غريبة أن تدخل السياسة في القمح!

بدَت الجملة غريبة؛ فقد قالها «جوفير» دون أن ينظر إلى «أحمد»، كان يبدو كأنه يتحدث إلى نفسه، لكنه فجأة نظر إلى «أحمد» وقال: أليس كذلك؟

ابتسم «أحمد» وردَّ: بالتأكيد.

فكر بسرعة، ماذا يقصد السيد «جوفير» بهذه الكلمات؟ وبنفس السرعة كان قد توصَّل إلى المعنى الحقيقي، فقال: من الضروري يا سيدي في عالمنا المزدحم بالصراع أن يتدخل القمح في السياسة ...

قال «جوفير»: إنَّ ما يُدهشني كيف تتحول قلوب رجال السياسة إلى حجارة وهم يرون شعوبًا تموت من الجوع دون أن تهتزَّ مشاعرهم!

ابتسم «أحمد» وقال: هذا هو الفارق يا سيدي بين السياسي والعالِم.

هزَّ «جوفير» رأسه، وقال: هذا صحيح فعلًا.

عندما اقتربَا من صالة الدخول إلى أرض المطار ... تردَّد صوتُ المذيعة يُعلن عن قرب قيام الطائرة ... ولذلك استمرَّا في مشيهما في اتجاهها ... توقَّف «أحمد» عند سُلَّم الطائرة ... حتى تقدَّم «جوفير»، في نفس الوقت الذي كان الشياطين قد لحقوا بـ «أحمد»، سأله «عثمان» بسرعة: علاقة جيدة؟

ابتسم «أحمد» وأجاب: أرجو أن تكون كذلك.

ثم أضاف بسرعة: إنه باحث زراعي.

ظهرت الدهشة على وجوه الشياطين، وقال «فهد»: إنها فرصة ... فقد يكون هذا التعارف هو بداية الخيط.

تقدَّم «أحمد» وتَبِعه الشياطين حتى دخلوا الطائرة. ألقى «أحمد» نظرةً على المقاعد بحثًا عن «جوفير» الذي كان يبحث هو الآخر عنه، وكانت ابتسامته الطيبة هي الدافع لأن يتقدم «أحمد» إليه ... لكنه اصطدم بقدمِ أحدِ الركاب، فوقف يعتذر له ... وقعَت عيناه على وجهٍ حادِّ النظرات، قاسي الملامح ... قال «أحمد»: معذرة!

نظر له الرجل نظرةً حادة ... لم يفهم «أحمد» في أول الأمر أهمية هذه النظرة، فلم يكن اصطدامُه بقدم الرجل عنيفًا إلى هذه الدرجة ... لكنه مع ذلك كرَّر اعتذاره ... ولم يردَّ الرجل بكلمة ... استمر «أحمد» في طريقه بين المقاعد متجهًا إلى حيث يجلس «جوفير». وعندما استقرَّ بجواره سأله: ماذا حدث؟

قال «أحمد» بهدوء: لقد اصطدمتُ بقدم أحدهم دون قصد.

هزَّ «جوفير» رأسه وهو يقول: لا بأس، إن ذلك يحدث كثيرًا؛ فالطائرات الداخلية صغيرة المساحة.

لم تمضِ دقائق حتى كانت الطائرة تحلِّق في الفضاء وتأخذ مسارها فيه ... ألقى «أحمد» نظرةً في اتجاه الرجل، كان لا يزال يفكر في نظرته الحادَّة، وقال في نفسه: ربَّما تكون الصدمة عنيفة ... وربما تكون قدمُه مصابة أصلًا ... أو يُعاني من مرض ما.

التقَت عيناه بعينَي الرجل الذي كان لا يزال ينظر له في حدَّة ... فكَّر: هل يكون الرجل على علاقة بـ «جوفير»، ولكن لماذا؟ وإذا كانت له علاقة به فكيف لم يعرفه «جوفير». فجأة ظهر صوتُ «جوفير» يقول: أظن أنك مشغول بشيء ما.

التفت «أحمد» بابتسامة، وقال: لا شيء هام.

قال «جوفير»: دعني أحدِّثك عن كتاب مستقبل البشرية الذي تحمله ... فقد كتبتُ فيه فصلًا.

ظهرَت الدهشة على وجه «أحمد»، لكن «جوفير» ابتسم وهو يقول: لا تدهش؛ فالطعام واحد من أهم مشاكل البشرية الهامة.

ثم أضاف: إنه الفصل الرابع على ما أظن!

فتح «أحمد» الكتاب بسرعة، وأخذ يُقلِّب صفحاتِه حتى وصل إلى الباب الرابع ... وكان عنوانه: «القمح ومستقبل البشرية» بقلم الدكتور «جوفير لانجيري». نظر «أحمد» إلى «جوفير»، وقال بابتسامة عريضة: سيدي ... إنني سعيد أن يكون لي شرف التعرف على دكتور باحث عظيم مثلك ...

ضحك «جوفير» ضحكة صافية لكنها عالية، في نفس الوقت الذي كان فيه «أحمد» قد تعمَّد النظر إلى الرجل الحاد الملامح، وكما توقَّع تمامًا ... كان الرجل ينظر ناحيته بنفس الحدة. قال «جوفير»: وأنا سعيد أن أتعرف على شاب مثلك يهتم بالآداب ...

كانت ... هذه فرصة ... ليبدأ «أحمد» الحديثَ الذي يريده؛ فهو إن كان يهمُّه الحديث عن القمح ومستقبل البشرية ... وإن كان يهمُّه أيضًا الحديث في الآداب المختلفة، فإن ما يهمُّه أكثر هو المهمة التي خرج من أجلها. قال «أحمد» مبتسمًا: هذه فرصة ينبغي ألَّا تفوتَني يا سيدي الدكتور، فهل أستطيع أن أطرح بعض الأسئلة؟

ابتسم «جوفير» وقال: بالتأكيد تستطيع يا عزيزي «جيم».

سأل «أحمد» بعد لحظة: هل أنت بلجيكي؟

ضحك «جوفير» وهو يقول: لا، ولكني أفريقي.

اتسعَت عينَا «أحمد» دهشة ... في حين غَرِق «جوفير» في الضحك. سأل «أحمد» في نفسه: كيف يكون «جوفير» أفريقيًّا وهو أبيض اللون ... لكن «جوفير» كان قد بدأ يُجيب عن السؤال: يلفت نظرَك طبعًا أن أقول إنني أفريقي ... لكن هذه حقيقة ... إنني من جنوب أفريقيا نزحتُ إليها طفلًا مع والدي الذي كان سياسيًّا، وعشتُ حياتي كلَّها هناك حتى اعتبرتُ نفسي أفريقيًّا.

ثم سأل بسرعة: يبدو أنك تنتسب إليها.

قال «أحمد» بسرعة: إنني إسباني ...

ابتسم «جوفير» وهو يقول: إذن هناك علاقة ما؛ فالإسبان فيهم دمٌ عربي.

سأل «أحمد» بسرعة: وهل تركت أفريقيا؟

قال «جوفير»: لا أظن أنني أستطيع أن أتركها؛ فحياتي كلها كانت هناك ... بجانب أنني أتعاطف مع هذه الشعوب الغنية والفقيرة في وقت واحد.

شعر «أحمد» أنه يقترب من هدفه بسرعة، خاصة عندما قال «جوفير»: إنني أعمل في منظمة ... تهتم بالأبحاث الزراعية في «إنتويرب».

عندئذٍ تأكد أنَّه وضع أولى خطواته على بداية الطريق.

مفاجأة في المطعم!

كان من الضروري أن يستمرَّ «أحمد» في حديثه مع الدكتور «جوفير» خصوصًا عندما ذكر أنه يعمل في منظمة للأبحاث ... سأل «أحمد»: هل هي منظمة عالمية؟

قال «جوفير»: إنها منظمة أوروبية.

سأل «أحمد»: ولكن لماذا تركت أفريقيا إذن؟

مرَّت مسحة حزن على وجه «جوفير» وتنهَّد، ثم قال: هذه مسألة أخرى.

كانت هذه إجابةً كافية ليحول «أحمد» دفة الحديث ... فقد تأكد الآن ... أنه يمشي في الطريق السليم.

قال «أحمد» لـ «جوفير»: هل قرأت يا سيدي شيئًا في الأدب الأفريقي؟

فجأة، وكأن الدماء قد ارتدَّت في عروق «جوفير»، فقال بسعادة: طبعًا، إن الأدب الأفريقي أدبٌ مميز تمامًا ... لكنه لم ينَل حظَّه من الشهرة بعد، لكني أظن أنه سوف يفرض وجوده على الآداب الأخرى، وعلى المستوى العالمي.

صمت لحظة ثم أضاف: إنني لا أهتم بالأدب الأفريقي فقط ... ولكني أهتم أيضًا بالموسيقى الأفريقية ... فهي ذات طعم خاص ... ومنذ صغري وأنا أسعد بسماعها، وفي بيتي أحتفظ بعدد من الآلات الموسيقية الأفريقية.

ظل الحديث حارًّا بين «أحمد» و«جوفير» حتى جاء صوت مذيعة الطائرة يُعلن أنهم سوف يهبطون بعد دقائق في مطار «إنتويرب». ألقى «أحمد» نظرة سريعة في اتجاه الرجل الحاد النظرات، فوجده مستغرقًا في التفكير. نظر إلى «فهد»، وأخيرًا نظر إلى «جوفير» وقال مبتسمًا: إنني سعيد يا سيدي بهذا الحوار الرائع الذي أجريناه معًا ... ودعني أُبدي إعجابي باهتمامك ... بالموسيقى الأفريقية والأدب الأفريقي.

قال «جوفير» مبتسمًا: تمنيتُ أن يكون لي ابنٌ مثلك ... لكني مع الأسف لم أتزوج؛ فقد أعطيتُ عمري كلَّه للأبحاث ... وعندما فكرتُ في الزواج كان الوقت قد مضى.

ابتسم «أحمد» وقال: سوف يكون لي الشرف ... أن أضع نفسي في منزلة ابنك يا سيدي.

ابتسم «جوفير» ابتسامة طيبة، وقال: وأنا يُسعدني ذلك!

ثم أضاف بسرعة: كم ستبقى في «إنتويرب»؟

فكر «أحمد» بسرعة، ثم قال: سوف أبقى بعض الوقت.

سأل «جوفير»: كيف أستطيع رؤياك مرة أخرى؟

وجدها «أحمد» فرصة حتى يَصِل إلى هدفه بسرعة، فقال: أكون سعيدًا لو حصلت على تليفونك لأتحدث إليك يا سيدي!

ظهرَت نفس سحابة الحزن على وجه الدكتور، وهمس: أظن أنَّ ذلك لن يكون سهلًا.

مرَّت لحظة قبل أن يقول: مع ذلك فأنا أنزل المدينة يوم السبت من كلِّ أسبوع.

ثم أضاف: لو تركتَ تليفونك فسوف أكون سعيدًا أن أتحدث إليك وأن ألقاك.

قال «أحمد» بسرعة: إنني لا أعرف المكان الذي سوف أستقر فيه بعد!

ابتسم «جوفير» وقال: هذا حظٌّ سيِّئ، مع ذلك فسوف أكون في الحديقة العامة في الساعة العاشرة صباحًا يوم السبت ... إنني أحب الذهاب إلى هناك؛ فالحياة تشتعل بالحركة والنشاط في الحديقة يومَي السبت والأحد.

ثم ضحك قائلًا: الشباب مثلك يجعلون الحياة تتوهج بألعابهم ولهوهم.

كانت عجلات الطائرة قد لامسَت الأرض ... فاهتزت قليلًا ... وعندما توقَّفَت الطائرة قال «جوفير»: سوف أنتظرك يوم السبت هناك ... وأتمنى أن ألقاك!

ودَّعه «أحمد» وداعًا حارًّا ... فقد شعر بوحدة الرجل وأبوَّته ... وعندما تجاور مع الشياطين عند باب الطائرة همس في أُذُن «فهد»، وقال له: عليك بمتابعة الرجل.

خرج الركاب إلى ساحة المطار الخارجية، كان «أحمد» يمشي وحده ... وكان «فهد» يمشي وحده هو الآخر ... وهو يتابع عن بُعد خطواتِ «جوفير»، وفي نفس الوقت يُراقب الرجل ذا النظرات الحادة.

أما «عثمان» و«رشيد» فقد كانَا في نهاية المكان، وكانَا يتابعان باهتمام شديد كلَّ حركة يمكن أن تحدث خارج المطار. كانت سيارة خاصة بالشياطين تقف في ساحة الانتظار ... اتجه «أحمد» إليها أولًا، ثم تَبِعه «رشيد» و«عثمان». وعندما استقروا فيها

أخذ «أحمد» مكانَ القيادة، وانطلق تبعًا للبوصلة التي كانت تُوجِّههم. فجأة دقَّ جرس التليفون، رفع «رشيد» السماعة، جاء صوت عميل رقم «صفر» يُرحب بهم ... ويحدِّد لهم مكان الفندق الذي سينزلون فيه ... وكان فندق «هيلتون».

تحدَّث «أحمد» إليه يطلب منه تحديدَ مكان الحديقة العامة. ردَّ العميل بأنه سيُرسل إليهم خريطة المكان، خصوصًا وأن هناك عميلًا آخر مهمَّتُه الحديقة، ثم انتهت المكالمة. فجأة، سجل جهاز الاستقبال رسالةً، أخذ «رشيد» يستقبلها، كانت الرسالة شفرية تقول: ««٢ – ٥٠ – ٦ – ٥٢ – ٦»، وقفة «٢ – ٤٦ – ٤٨ – ٥٢ – ٤٨ – ٥٢»، وقفة «٢ – ٥٨ – ٥٠»، وقفة «٢ – ٤٦ – ٤٦ – ٤٢ – ٢ – ٢» انتهى.»

عندما عرَف الشياطين مضمون الرسالة، قال «أحمد»: نرجو أن يكون قد وُفِّق إلى إضافة جديدة.

ثم أضاف: حدِّد له المكان.

أرسل «رشيد» رسالةً شفرية إلى «فهد» يُحدِّد فيها الفندق، وقال «عثمان»: ماذا عن الصديق الباحث؟

ابتسم «أحمد» وردَّ: سوف نتحدث في ذلك طويلًا ... فأمامنا وقت.

انتظر لحظة ثم أضاف: أمامنا ثلاثة أيام.

كانت الإجابة غامضة، حتى إنَّ «رشيد» سأله: ولماذا ثلاثة أيام؟

أجاب «أحمد»: لأن عندنا موعدًا السبت.

سأل «عثمان» بسرعة: مع مَن؟

ضحك «أحمد» وهو يردَّ: مع مغامرتنا.

لم يفهم «عثمان» أو «رشيد» ماذا يعني «أحمد» بإجابته، فأضاف: عندما ينضم إلينا «فهد» سوف أقدِّم لكم تقريرًا كاملًا.

كانت المفاجأة عندما وصل الشياطين إلى «الهيلتون»، كان «فهد» يجلس في الصالة الواسعة يرقب الحركة في المكان. اتجه إليه الشياطين مباشرة، وسأله «عثمان»: هل سنبقى هنا؟

قال «أحمد»: ينبغي أن نَعْقد اجتماعًا الآن في غرفتي.

ثم نظر في ساعة يده، وقال: أمامنا ساعة نستطيع أن ننزل بعدها للعشاء.

أخذ الشياطين طريقَهم إلى غرفة «أحمد»، وعندما ضمَّتهم الغرفةُ بدأ «أحمد» يشرح لهم كلَّ ما دار بينه وبين الدكتور «جوفير». كانت الدهشة تملأ وجوهَ الشياطين وهم يستمعون إلى التفاصيل، حتى إنَّ «عثمان» صاح في سعادة: إننا محظوظون بالتأكيد.

عندما انتهى «أحمد» من تقريره جاء الدور على «فهد» ليقول ما عنده، لقد كانت مراقبةُ «فهد» للدكتور «جوفير» والرجل الحاد النظرات في منتهى الأهمية للشياطين؛ فقد اكتشف «فهد» أن الرجل كان يتبع «جوفير» على البعد ... ودون أن يعرف «جوفير» ذلك؛ ولذلك قال «أحمد»: لقد فكرتُ في ذلك فعلًا.

مرَّت لحظة قبل أن يُضيف: الآن ينبغي أن نعرف أننا مراقَبون ... فالرجل الحاد الملامح ليس وحده بالتأكيد ... وما دام «فهد» قد اكتشف أنه حارسٌ خفيٌّ لـ «جوفير»، فهذا يعني أننا أيضًا تحت أعينهم ... وما دمنا قد اجتمعنا معًا ... فقد أصبحنا تحت مراقبتهم فعلًا.

قال «فهد»: لهذا يجبُ أن نتصرف بحذر.

فجأة وقف «أحمد» وقال: لا بأس ... هيَّا نتناول العشاء ... ثم نرى.

عندما وقف بقية الشياطين قال: إنَّ ملاحظتنا للمطعم سوف تكون مفيدة؛ فالمؤكد أنه سوف يكون هناك مَن يراقبنا.

أخذ الشياطين طريقَهم إلى المطعم، وهناك جلسوا حول إحدى الموائد، وكان على كلٍّ منهم أن يراقبَ المساحة التي أمامه مباشرة؛ ولأنهم كانوا يجلسون متقابلين فقد أصبح المطعمُ كلُّه تحت أعينهم.

فجأة قال «فهد» هامسًا: إنه يجلس هناك مع آخر.

سأل «أحمد»: تقصد الرجل ذا الوجه القاسي؟

أجاب «فهد»: نعم ... وهناك آخر يجلس أمامه ... وهما يتناولان العشاء.

ابتسم «أحمد» وقال: إذن لقد بدأت المواجهة.

في هدوء قاموا إلى حيث يوجد الطعام، فأخذ كلٌّ منهم ما يريده، ثم عادوا إلى مائدتهم، استطاع «أحمد» أن يُلقيَ نظرةً خاطفة على الرجل الصارم، ويُخفي ابتسامةً كادَت تظهر على وجهه. وعندما جلسوا حول المائدة ... قال «رشيد» هامسًا: هل المواجهة ضرورية؟

ردَّ «فهد»: بالتأكيد، وليس أمامنا سوى ذلك.

سأل «رشيد» مرة أخرى: هل تعتقد أنهم سوف يقومون بعمل ما؟

ردَّ «عثمان»: مَن يدري، كل شيء يمكن توقعه.

فجأة وقف «أحمد» وهو يبتسم قائلًا: سوف ترَون ما لم يخطر لكم على بال.

ثم أخذ طريقَه في اتجاه الرجل صاحب الوجه الصارم ...

«داندي» يردُّ الدعوة!

عندما وصل «أحمد» إلى منضدة الرجل الصارم الوجه، رسم ابتسامة واسعة وهو يقول: معذرة يا سيدي ومساء الخير!

نظر له الرجل لحظة، ثم قال في هدوء لا يخلو من حدَّة نظراته: مساء الخير!

قال «أحمد» بنفس ابتسامته: لقد وجدتُها فرصة عندما رأيتُك لأعيدَ اعتذاري إليك بسبب اصطدامي بقدمك في الطائرة.

ردَّ الرجل في هدوء: لقد نسيت ذلك.

قال «أحمد»: لكنني لم أنسَ خطئي ... ولذلك أعيد اعتذاري.

ردَّ الرجل وهو يضع لقمةً في فمه ... حتى إنَّ ردَّه لم يظهر بوضوح، وكان منظرُه مقزِّزًا للغاية ومثيرًا للقرف، لكن «أحمد» فَهِم ما قاله ... وكان ما قاله الرجل: لقد قبلتُ الاعتذار.

زالت ابتسامةُ «أحمد» فوق وجهِه، وقال: سأكون سعيدًا إذن لو دعوتكما لشيء ...

قال الرجل: لا أظنُّ أنَّ المسألة تستحق ذلك كلَّه ... لقد قدمتَ اعتذارك وأنا قبلتُه، وانتهى الأمر.

عاد «أحمد» يقول: لكني ما زلتُ أشعر بالذنب، ويكون فضلًا منك أن تسمح لي بالدعوة!

تنهَّد الرجل وكأنه كاد يفقد هدوءه: دون فضل، انتهت الحكاية.

قال «أحمد» وكأنه يُثيره: هذا يعني أنك ما زلتَ غاضبًا.

توقَّف الرجل عن المضغ، وابتلع ما في فمه، ونظر إلى ... «أحمد» في حدة، ثم قال: ماذا تريد أيها الشاب؟

ابتسم «أحمد» وهو يقول: يا سيدي، في بلادنا لا يرفض أحد الدعوة خصوصًا في حالة مثل هذه ...

قال الرجل بحدة: وفي بلادنا نرفض هذه الدعوة!

ضحك «أحمد» ضحكة صغيرة، وقال: إذن أعتذر مرة أخرى ... لإلحاحي في الدعوة!

كان الرجل الآخر يُراقب الحوار الذي يدور بينهما دون أن يتدخل فيه، لكنه فجأة قال: لقد قبلتُ دعوتك.

ثم نظر إلى زميله وقال: اقبلها يا «داندي».

نظر «داندي» إلى «أحمد»، وقال في غضب مكتوم: قبلتُ، هيا بنا.

ابتسم «أحمد» وقال: إن الدعوة مفتوحة لأي شيء ترغبانه.

قال الرجل الآخر: إذن قبلنا دعوتَك للعشاء، وها نحن نتناول عشاءَنا.

سكت لحظة سريعة ثم أضاف: عليك إذن تسديد ثمن العشاء.

كاد «أحمد» أن يضحك لولا أنه تمالك نفسه، وقال: شكرًا لك يا سيدي على قبولك الدعوة.

ثم أضاف: وتمنياتي لكما بوقت ممتع.

ثم أحنَى رأسَه انحناءة خفيفة، وقال: تحياتي لكما!

ثم انصرف. كان الشياطين يُراقبون الموقف ... وقد ملأتهم الدهشة ... إنَّ ذلك يعني أنَّ «أحمد» يُريد أن يخلقَ صدامًا ما مع الرجل ... أو يجرَّه إلى هذا الصدام ... وعندما انضم إليهم كاد أن يغرق في الضحك لكنه تماسك، ثم جلس وبدأ يأكل ...

سأل «عثمان»: ماذا حدث؟

علق «فهد»: إن طريقة حديثك معه لا بد أنها أثارَت أعصابه.

وأضاف «رشيد»: أنا لم أفهم ماذا تقصد من ذلك؟

بدأ «أحمد» في تناوُل عشائه، بعد قليل قال: لقد أردتُ أن أُزيلَ شكَّه في علاقتي بالدكتور «جوفير»، أردتُ أن أُفهمَه أنه لم يكن سوى لقاء عابر لاثنين في حالة سفر ...

قال رشيد: هل تظن أنه اقتنع؟

«أحمد»: لا أظن؛ فوجهه القاسي يقول أنه يفكر في شيء آخر بجوار أنه رفض دعوتي.

وقبل أن يُكمل كلامَه، ملأت الدَّهشة وجوه الشياطين، وقال «رشيد»: دعوتك.

لم يستطع «أحمد» أن يكتمَ ضحكة، وقال: نعم ... دعوتُ «داندي» وصديقه على العشاء.

ثم حكى لهم ما دار بينهم من حوار ... ضحك «فهد» وقال: لقد فعلتَ شيئًا غريبًا ... وظريفًا في نفس الوقت.

فجأةً وقف «داندي» وزميله ... وأخذَا طريقَهما للخروج ... تقدَّم منهما الجرسون، فأشار «داندي» إلى الشياطين، نظر الجرسون إلى الشياطين، فهز «أحمد» رأسه بمعنى نعم ... في نفس اللحظة رفع زميل «داندي» يدَه، ولوَّح لـ «أحمد» الذي ردَّ على تحيَّتِه.

قال «عثمان»: أظن أنهما لن ينصرفَا، وإنما سيكونان في انتظارنا.

قال «أحمد»: إنني أظن ذلك أيضًا.

ثم ابتسم قائلًا: ولذلك لن نغادر الفندق.

انتهى الشياطين من تناوُل عشائهم، ثم أخذوا طريقَهم إلى غُرَفهم التي كانت متجاورة، وتقع في الطابق السابع عشر. عندما وقف المصعد في طابقهم خرج «أحمد» أولًا، لكنه وقف فجأة حتى إنَّ «فهد» اصطدم به ... خطَا «أحمد» خطوةً أخرى حَذِرة ثم وقف. همس «رشيد»: ماذا هناك؟

قال «أحمد» بعد لحظة: أظنُّ أنني رأيت شبحًا.

سأل «عثمان» بسرعة: ماذا تعني؟

رَدَّ «أحمد» بهدوء: أعتقد أننا مراقَبون.

مسحَت أعينُ الشياطين المكان، لكن شيئًا ما لم يظهر.

قال «فهد»: ربما يكون اهتمامك بـ «داندي» هو الذي خيَّل إليك هذا.

همس «أحمد» قائلًا: لا أظن ... أن ما رأيته حقيقة.

سأل «فهد»: هل ما رأيته يمكن أن يكون «داندي»؟

مرَّت لحظة قبل أن يُجيبَ «أحمد»: لستُ متأكدًا.

قال «رشيد»: إذن دعنا ندخل غرفتك أولًا؛ فلا أظن أن وقوفنا هنا يمكن أن يُفيد ... في نفس الوقت ... فإنه لافتٌ للنظر ... خصوصًا إذا ظهر أحد النزلاء.

تقدَّم الشياطين في اتجاه غرفة «أحمد»؛ فقد كانت هي أولَ الغرف، وتقع بالقرب من المصعد ... وعندما وصلوا إليها قال «أحمد»: دعونا نذهب إلى غرفة «عثمان».

كانت غرفة «عثمان» هي آخرَ الغرف الأربع، وكانت تقع في نهاية الممر الطويل ... دخل «عثمان» وتَبِعه الآخرون ... كانت الغرفة مضاءة ... التفت «عثمان» ونظر إليهم، ثم همس: لا أظن أنني نسيتُ الغرفة مضاءة.

التقت أعين الشياطين ... إن ذلك يعني أن هناك مَن يتبعهم، بل هناك من يعبث بغُرَفهم ...

قال «أحمد»: الآن ... تأكدت أكثر أنني رأيتُ الشبح!

مَرَّت لحظة ... كان «عثمان» قد تقدَّم إلى وسط الغرفة ... وهو يمسح بعينَيه المكان؛ فربَّما كان هناك ما يؤكد كلامَ «أحمد» لكن شيئًا في الغرفة لم يتغير، كانت منظمةً تمامًا كما تركها، لكن فجأة وقعَت عيناه على الدولاب، كانت أبوابه غيرَ محكمة الإغلاق، فكر بسرعة: هل استخدم الدولاب قبل أن يغادر الغرفة؟ ...

لكنه لم يتذكر شيئًا ... نظر إلى «أحمد» وهو يقول لنفسه: هل يوجد أحد داخل الدولاب؟

قال «أحمد» يقطع أفكاره ... وكأنه قد قرأ ما فكر فيه: يكون ساذجًا جدًّا ... إذا تصرَّف هذا التصرف!

ولم يكد يُنهي كلامَه حتى فُتحت أبواب الدولاب ... وقفز من داخلها ثلاثة رجال لم يكن بينهم «داندي».

وفي لمح البصر كانوا يطيرون في الهواء وهم يوجِّهون ضرباتٍ متتاليةً إلى الشياطين. كانت مفاجأة فعلًا ... لكن الشياطين كانوا أسرعَ في التصرف ... فبينما كان الثلاثة في الهواء كان الشياطين قد فعلوا نفس الشيء ... وطاروا في الهواء واصطدمَت الأقدام. فجأة وجد «أحمد» نفسَه ملقًى على الأرض بينما أحدهم يقفز في اتجاهه. تدحرج عن مكانه فسقط الرجل عند قدميه ... وفي لمح البصر كانت قدمَا «أحمد» قد التفَّت حول ساقَي الرجل، ثم دارَت بهما، فسقط على الأرض ... في نفس اللحظة ... كان «فهد» قد اشتبك مع آخر فضربه بسيف يده ضربةً قوية جعلَت الرجل يئنُّ ... أمَّا «رشيد» فقد اصطدمَ رأسُه بالحائط وسقط فاقدًا الوعي ... بقيَ «عثمان» الذي كان يقفز في رشاقة متناهية أمام الرجل الثالث الذي وقف في انتظار هجوم «عثمان»، ولم يكن «عثمان» يريد الهجوم عليه؛ فقد كان يشغلُه حتى تصلَه ضربةٌ من أحد من الشياطين.

لمح «أحمد» ما يفعله «عثمان»، وبينما كان يسدِّد ضربة للرجل الذي أمامه كانت قدُمه قد خرجَت في ضربة عنيفة للرجل المقابل لـ «عثمان» فاندفع بشدة.

تخلَّى «عثمان» عن مكانه فاصطدم الرجل بالحائط ... وسقط على الأرض ... كانت معركة «أحمد» و«فهد» لا تزال مستمرة. قفز «عثمان» في اتجاه «رشيد» الذي كان قد سقط بجوار باب الغرفة ... وما إن انحنى عليه حتى فُتح الباب في عنف، وظهر «داندي». كان ظهورُه مفاجأة، حتى إن الجميع توقَّفوا من شدة الدهشة. كشَّر «داندي» عن أنيابه تحت ملامح وجهه القاسية، وقال: إنني أردُّ لكم الدعوة.

ثم ضرب الباب بقدمه ... فانغلق ... وقف ينظر إليهم، ثم قال في سخرية: إنكم لن تغادروا «إنتويرب» إلى الأبد.

ثم قفز في الهواء وقد فتح ساقَيه ... وبدأت معركة أخرى! ...

الاقتراب من الهدف!

كان «داندي» مفتولَ العضلات، قويَّ البُنيان، رشيقَ الحركة، ويُجيد ألعاب الكاراتيه والتايكوندو. وعندما قفز في الهواء فاتحًا ساقَيه ... توقَّع الجميع الحركة التي سيؤديها؛ ولذلك فقد تحفزوا جميعًا. وبحركة مفاجئة لم يتوقعها الشياطين دار حول نفسه في الهواء وهو يُسدِّد ضربة قوية لـ «أحمد»، وضربة أخرى إلى «فهد»، وكأن الاثنَين كانَا في انتظار ضربته، فقد تعلَّق الاثنان بقدمَيه ... في نفس الوقت الذي تعلَّق فيه «عثمان» بوسط «أحمد» ... وتعلق «رشيد» الذي كان قد أفاق في وسط «فهد»، وهكذا كان من الصعب مهما كانت قوة «داندي» أن يُصيب «أحمد» أو «فهد» بأذًى ... وكانت النتيجة أن «داندي» تأرجح بشدة، ثم سقط بين الأربعة. كان الاثنان الباقيان قد اشتركَا في الهجوم، وكان هذا ما توقَّعه «رشيد» و«عثمان»؛ فقد تركَا «أحمد» و«فهد» بمجرد سقوط «داندي»، واتجهَا للرجلين. وفي لمح البصر كان الرجلان يرقدان على الأرض بلا حَراك ... في نفس الوقت الذي سقط فيه «داندي» تحت سيطرة «أحمد» و«فهد». وفي سرعةٍ وجَّه «أحمد» ضربةً إلى «داندي» جعلَته يصطدم بالأرض ... نظر الشياطين إلى بعضهم وتحدَّثوا بلغتهم ... قال «أحمد»: ينبغي أن نتحفَّظَ عليهم حتى ندعوَ الشرطة.

قال «عثمان»: إن ذلك يختصر الوقت ... ولو أنه يفتح علينا بابًا جديدًا.

ردَّ «رشيد»: إن الباب قد فُتح فعلًا، وعلينا أن نختفيَ سريعًا، فلا يظهر لنا أثرٌ ... حتى نستطيعَ أن ننتهيَ من مهمتنا.

سأل «فهد»: هل أتصل بأمن الفندق؟

مرَّت لحظةٌ فكَّر فيها «أحمد» قبل أن يقول: لا ... مَن يدري ... فقد يكون أمن الفندق من رجال المنظمة، إنَّ علينا أن ندعوَ شرطة المدينة عن طريق عميل رقم «صفر».

ثم أضاف: يجب أن نُوثقَهم بملاءات السرير، وأن نختفيَ قبل أن تصلَ الشرطة. إنني أشك في أيِّ شيء.

بينما كان الشياطين يوثقون الرجال ... كان «أحمد» لا يزال يُمسك بـ «داندي» بطريقة تمنعه من الحركة. وعندما انتهوا ترك لهم «داندي»، وأسرع إلى غرفته ... وعندما دخلها أرسل رسالة إلى عميل رقم «صفر» يشرح له فيها كل شيء ... ثم قال في نهايتها: سوف نغادر الفندق ... فأين يمكن أن نذهب؟ انتظر لحظة ... فجاءه الرد: سوف يكون اللقاء عند النقطة «ح»؛ فكل شيء جاهز ...

رفع «أحمد» سماعة التليفون واتصل بـ «عثمان»، وقال بلغة الشياطين: انضموا سريعًا حتى نغادر المكان.

ألقى نظرةً سريعة على غرفته، واسترجع أشياءَه فعرف أنه لم ينسَ شيئًا، خلال دقائق كان «فهد» يدُقُّ الباب. فتح «أحمد» وانصرف الشياطين، وفي مكان انتظار السيارات كانت سيارتهم هناك ... استقلوها بسرعة، وقال «أحمد» وهو يجلس بجوار «فهد» الذي كان يقود السيارة: لقد كانت معركة جيدة.

ردَّ «عثمان»: لكنها سوف تفتح علينا معارك أخرى.

سأل «فهد»: إلى أين سوف نتجه؟

قال «أحمد» وهو يضبط بوصلة السيارة: إلى النقطة «ح».

كانت بوصلة السيارة هي التي تحدِّد لـ «فهد» الاتجاه، وقال «أحمد» يُجيب على «عثمان»: إن مهمَّتَنا كلَّها معارك، ومتى كانت لنا مغامرة بلا معركة؟

قال «عثمان»: إن منظمة «أوروبا» أولًا سوف تضع كلَّ إمكانياتها الآن في سبيل القضاء علينا.

ردَّ «أحمد»: إنَّ أحدًا منها لا يعرف عنَّا شيئًا سوى «داندي»، و«داندي» الآن ملفوفٌ في ملاءة سرير ومنها إلى الشرطة.

قال «رشيد»: لا بد أن «داندي» قد أخبر المنظمة بشكِّه فينا منذ علاقتك بالدكتور «جوفير».

قال «أحمد» في إصرار: إنَّ ذلك لن يشغلَنا عن مهمتنا.

فجأة لمعَت لمبةٌ حمراء في بوصلة السيارة، فقال «أحمد»: إننا داخل النقطة «ح» الآن.

كانت النقطة «ح» هي منتصف الشارع رقم «٣٨» وهو أطول شوارع المدينة؛ لأنه يقطعها من بدايتها حتى نهايتها. فجأة دقَّ جرس التليفون، رفع «أحمد» السماعة فجاء

صوت عميل رقم «صفر» يتردد: استمروا في الطريق حتى المبنى رقم «١١٦٢» في نهاية الشارع. إنه مجاور للحديقة العامة وهو مجهز لكم.

ثم انتهَت المكالمة، ضغط «فهد» قدمَ البنزين، ووضع «أحمد» السماعة، فقال «عثمان» مبتسمًا: إنه مكان جيد؛ فسوف نكون قريبين من الدكتور «جوفير» عندما يحين موعده.

ظلَّت السيارة في تقدُّمها، بينما كان الشارع قد بدأ يخلو من المارة، ظهرَت الحديقة العامة في نهاية الشارع بأشجارها العالية، فقال رشيد: إننا نقترب من المبنى «١١٦٢».

لم تمضِ دقائق حتى ظهر أمامهم الرقم، كان المكان بلا ملامح سوى الأشجار التي ترتفع إلى السماء. قال رشيد: إنه مكان جيد فعلًا.

اقتربَت السيارة من البوابة الحديدية التي كانت تختفي خلف النباتات المتسلقة، وعندما أصبحت أمامهما مواجهةً لهما، ضغط «أحمد» زرًّا في تابلوه السيارة، فانفتحت البوابة. وعندما تجاوزَتها انغلقَت البوابة مرة أخرى. نزلوا بسرعة يستطلعون المكان. كان عبارة عن مبنى صغير يغرق في الخضرة ... وحديقة واسعة جميلة وأشجار عالية. تذكَّر «أحمد» قولَ د. «جوفير»: ليس هناك فرقٌ بين الطبيعة والفن ... لأن الطبيعة لوحة نادرة. ابتسم عندما تذكَّر هذه الكلمات، وهمس لنفسه: إن د. «جوفير» مُحقٌّ تمامًا.

أخرج «أحمد» جهازَ الأشعة الدقيق، ثم وجَّهه إلى الباب ...

وضغط زرًّا فيه. وفي هدوء فُتح الباب. دخل الشياطين بسرعة، ثم أُغلِق الباب ... كانت هناك صالةٌ مستديرة تحوطها عدةُ أبواب ... ولم يكن هناك شيءٌ غير ذلك ... فالمبنى مكوَّنٌ من طابق واحد فقط.

أخذوا يكتشفون المكان. غُرفتَا نوم، وغرفة جلوس، وغرفة مكتب. كانت الغرفة لافتة للنظر. جلس «أحمد» أمام أحد الأجهزة ... وقال: إننا نستطيع أن نتصلَ بالعالمِ كلِّه الآن ... فهذه أحدث الأجهزة التي ظهرَت في مجال الاتصالات.

ثم أخذ يُشير إلى الأجهزة: هذا جهازُ المراقبة ... إنه يكشف كلَّ المساحة حول المبنى ... ولا يستطيع أحدٌ الآن أن يختبئَ في أيِّ جزء منه دون أن ينكشف لنا ...

بعد لحظة قال: هذا جهازٌ لمراقبة الحديقة العامة.

ثم ضغط زرًّا، فظهرَت الحديقة العامة على شاشة كبيرة أمامه. وقف الشياطين يرقبون. كانت الحديقةُ خاليةً تمامًا من الزوار. قال «أحمد»: نستطيع أن نتحدث إلى رقم «صفر» مباشرة.

ثم ضغط زرًّا، فجاء صوت رقم «صفر» بعد لحظة يقول: إنكم تتقدمون بطريقة مرضية، وأعتقد أنكم يجب أن تنتهوا من مهمتكم سريعًا.

شرح له «أحمد» كلَّ ما حدث منذ قيام الطائرة وحتى الآن، فقال الزعيم: هذا يؤكد ضرورةَ الانتهاء من المغامرة بسرعة. إن ذلك سوف يُحدِث ارتباكًا في المنظمة؛ لأنَّها سوف تنتظر حتى يحين موعدكم مع د. «جوفير».

مرَّت لحظة قبل أن يُضيفَ: أتمنى لكم التوفيق!

ضغط «أحمد» زرًّا آخر، فتوقف الجهاز، وقال: لقد فكرتُ في ذلك تمامًا، ينبغي أن نُسرع بالمغامرة. ثم أضاف بعد لحظة: لعلنا نستطيع أن نصحب د. «جوفير» معنا بعد انتهائنا منها.

جلس الشياطين في حالة اجتماع لرسم خطة التحرك القادمة، وكانت الخريطة التي وصلَتهم من عميل رقم «صفر» توضح كلَّ شيء. مقر المنظمة، ومراكز الأبحاث ... والمدينة السكنية التي يُقيم فيها العلماء. أمسك «أحمد» قلمًا وبدأ يرسم على ورقة أمامه ... طريقة التحرك. وعندما انتهى الاجتماع ... قال: نحن في حاجة إلى الراحة الليلة. علينا أن ننام جيدًا وسوف نتحرك في الصباح لنصلَ هناك قربَ الظهيرة ... ولن يكون دخولنا إلى المدينة السكنية إلا في الليل؛ فالخطوة الأولى سوف تكون إنقاذ العلماء ... لأنهم كنزٌ لا يُمكن تقديره بثمن. وعندما نتأكد من نجاح هذه الخطوة سوف ننفذ الثانية، وهي نسفُ مقرِّ المنظمة. أما مراكز الأبحاث فعلينا أن نفكر جيدًا قبل أن نتخذ قرارًا بشأنها.

مرَّت لحظةٌ صمت قبل أن يقولَ «عثمان» وهو يبتسم ابتسامةً عريضة: هل أقول لكم شيئًا مضحكًا؟

نظروا إليه في دهشة، فقال: إنني أكاد أموت من الجوع.

انفجر الشياطين في الضحك، وقال «فهد»: لقد كدتُ أموت قبلك!

لقد كان الجميع يشعرون بالجوع فعلًا بعد المعركة الرهيبة التي خاضوها مع «داندي» والمجموعة التي كانت معه.

قال «عثمان»: عليكم بالانتقال إلى غُرفة الجلوس حتى أستطلع الموقف.

أخذ «عثمان» طريقَه إلى المطبخ، في حين ذهب الشياطين إلى غرفة الجلوس ... كانت الغرفة مفروشة بطريقة رائعة ... كانت بيضاء تمامًا ... تُوحي بالراحة التامة. ألقوا أنفسَهم في المقاعد الضخمة الوثيرة.

قال «رشيد»: إنَّ قضاء إجازة عدة أيام هنا يكون شيئًا بديعًا.

ابتسم «أحمد»، وقال: نستطيع أن نحصل على هذه الإجازة ما لم تكن هناك مهمة جديدة.

فجأة ... جاء صوتُ «عثمان» يُدندن بأغنية سودانية يحفظها الشياطين. ابتسم «فهد» وقال: لا بد أنه عثر على ما يحب.

فجأة دخلَت عربةٌ صغيرة مسرعة جعلَتهم يصيحون دهشة؛ كانت العربة محملة بكل أنواع الطعام والفاكهة. وعندما اقتربَت منهم توقَّفت مباشرة، وجاء صوت «عثمان» ضاحكًا: كلوا حتى آخر العمر.

ضحكوا جميعًا، وبدأ كلٌّ منهم يختار ما يريده. أخذ «أحمد» عدة ثمرات من الفاكهة ... وفعل «فهد» نفسَ الشيء ... أما «عثمان» و«رشيد» فقد جلسوا حول العربة الصغيرة وانهمكوا في الأكل.

قال «أحمد»: لا تنسَوا أنفسكم، إنَّ الطعام لن ينتهيَ، ولن تكون هذه هي آخرَ أكلة لكم.

بدأ «عثمان» يُدندن بنفس الأغنية السودانية، بينما يأكل في نفس اللحظة، وقال: المهم هو الرغبة في الأكل.

ضحك «أحمد» وهو يقول: وإنَّ شهيتك للطعام موجودة دائمًا.

ضحك الشياطين، لكن كان عليهم أن ينالوا قسطًا طيبًا من الراحة؛ فغدًا سوف تكون الخطوة النهائية في معركتهم الأخيرة.

النار لا تحرق!

استيقظ الشياطين في الصباح، وهم يشعرون بنشاط كبير، حتى إنَّ «رشيد» قال: أتمنَّى الآن أن أخوض معركة أخرى مع «داندي»؛ فأنا في أتم لياقة.

ضحك «فهد» وقال: إن «داندي» يستمتع الآن بالحديد الموثق به يداه، والتحقيقات التي يُجريها رجال الشرطة معه، فمعركتُه معهم.

بسرعة كانوا جميعًا قد انتهَوا من شرب الشاي باللبن، وتناول قليلًا من الفاكهة وساندويتشًا صغيرًا، وفي دقائق كانوا يغادرون مقرَّهم الهادئ متجهين إلى حيث مدينة المنظمة ... كانت المدينة تبعد عشرين ميلًا خارج مدينة «إنتويرب»، وكما قال التقرير إنها تمثِّل ما يُشبه ضيعة كبيرة. كان الصباح منعشًا، حتى إنَّ «عثمان» أخذ يُدندن بالأغنية السودانية التي يُحبُّها. إن الذي يرى الشياطين في هذه اللحظة لا يظن أبدًا أنهم في طريقهم إلى معركة شرسة. كانوا وكأنهم في رحلة صيد؛ فلم يكن أحد منهم يتحدث عن المغامرة. كانوا قد رتبوا كلَّ شيء أمس، ولم تكن هناك خطوة لم يستعدوا لها؛ ولهذا كانوا ينطلقون في مرح زائد.

نظر «أحمد» إلى عداد المسافات، فعرف أنه لا تزال هناك عشرة كيلومترات أخرى. فكَّر: هل يمكن أن تكون مدينة المنظمة بلا حراسة؟

أجاب في نفسه: من المؤكد أنَّ هناك حراسة، وهناك أجهزة إنذار مبكر.

نظر إلى الشياطين، وقال: علينا أن نكون حذرين في المسافة الباقية؛ فالمؤكد أن هناك حراسة، وربما تكون هناك أجهزة إنذار أيضًا.

ردَّ «فهد»: هذا ضروري، وعلينا أن نستخدم أجهزةَ التشويش؛ حتى لا تكشفَنا أجهزة الإنذار.

قال «عثمان»: إنَّنا ينبغي أن نترك السيارة قبل أن نَصِل إلى نصف المسافة الباقية، وأن نقطع الباقي مشيًا؛ فنحن خارج السيارة نكون أكثر حركة، ونحن داخلها نكون في سجن.

عَلَّق «أحمد»: هذه وجهة نظر صحيحة.

ثم أضاف: بجوار أننا لن ندخل المدينة نهارًا، والوقت أمامنا طويل.

عندما أعلن عداد المسافة أنَّ الباقي خمسة كيلومترات فقط، أوقف «فهد» السيارة على جانب الطريق، ثم قال: يجبُ أن نُخفيَها حتى نعود إليها مرة أخرى.

نظر حوله، كانت الحقول مُمتدة حتى نهاية البصر، وكانت هناك مجموعة أشجار على يمين الطريق.

همس رشيد: إنه مكان جيد لإخفاء السيارة.

نزل الشياطين بسرعة، وتقدَّم «فهد» بها حتى مجموعة الأشجار التي كانت تبعد مسافة كافية ... وخبَّأها حتى لا تلفتَ نظرَ أحد. وعندما أوقفها في مكان مناسب عاد مسرعًا. انضم إليهم، وبدأت رحلتهم سيرًا على الأقدام، كان «أحمد» يُمسك ساعة صغيرة يقيس بها المسافة حتى لا يفاجئَهم أيُّ شيء في المكان. وعندما أشارت الساعة إلى المسافة الباقية، وكانت كيلومترًا واحدًا، قال: الآن نستعد، إن الخطوات القادمة سوف تحمل مفاجآتها.

وكان توقُّعُ «أحمد» صحيحًا تمامًا؛ فما كادوا يخطون عدة خطوات حتى كانت سيارة جيب تظهر أمامهم.

قال «أحمد» مبتسمًا: هذه تمامًا أولى المفاجآت.

ابتسم «رشيد» وعلَّق: إنها مفاجأة مبكرة.

اقتربَت السيارة التي كانت تُقلُّ أربعةً من الرجال الأشداء. وعندما توقَّفَت قال الرجل الجالس بجوار السائق: هذه منطقة ممنوعة، لعلكم لم تقرءوا اللافتة الموجودة على أول الطريق.

ابتسم «أحمد» وقال: صباح الخير يا سيدي، الحقيقة أنه لم يلفت نظرَنا شيءٌ.

سأل الرجل: من أيِّ اتجاه أتيتم؟

أجاب «أحمد»: من اتجاه الشرق.

قال الرجل: إنَّ اللافتات موجودة في كل اتجاه، عليكم أن تعودوا من حيث أتيتم.

قال «أحمد» مبتسمًا: هل هي منطقة عسكرية؟

أجاب الرجل: إنها شيء يُشبه ذلك، ولا داعيَ لكثرة الأسئلة.

ثم رمقهم بنظرة طويلة، وأضاف: أنتم شبابٌ صغار، ويبدو أنكم غرباء.

قال «أحمد»: هذا صحيح، ونحن في رحلة.

فجأة تردَّد جرس، ورفع الرجل سماعة تليفون. أخذ يُنصت قليلًا ويهزُّ رأسه، في نفس الوقت الذي كانت فيه ملامحُه تتغير إلى مزيد من القسوة، وعندما وضع السَّماعة دون أن ينطق بكلمة واحدة نظر إلى بقية الرجال، فقفز اثنان من السيارة، كان كلٌّ منهم يحمل مسدسًا مدلًّى من وسطه.

ابتسم «أحمد» وقال: هل هناك شيء يا سيدي؟

قال الرجل في غلظة: سوف تعرفون هناك.

أشار أحد الرجلين لهم أن يركبوا السيارة، فابتسم «أحمد» وهو يقول: إنها لا تتسع لنا جميعًا.

ردَّ الرجل: سوف تركبونها.

نظر «أحمد» إلى الشياطين، ثم قال: لا بأس أيها الأصدقاء، علينا أن نُحاول ذلك!

تقدَّم الشياطين، وقفزوا في السيارة الجيب، فلم يَعُد فيها مكان لأحد، لكنَّ الرجلَين اللذين كانَا على الأرض دفعَا الشياطين بقوة ثم قفزوا خلفهم، لم يكن أحدٌ من رُكَّاب السيارة يستطيع الحركة الآن، وكان ذلك في صالح الشياطين. تحرَّكَت السيارة في بطء. نظر «أحمد» إلى المجموعة نظراتٍ فهموها، كان «رشيد» يجلس خلف السائق مباشرة عندما أعطى «أحمد» إشارة بعينَيه.

خرجَت يدُ «رشيد» في قوة إلى السائق، فلم يستطع السيطرةَ على عجلة القيادة. في نفس اللحظة كان «فهد» و«عثمان» قد أمسك كلٌّ منهما برجل وقفزَا بهما من السيارة. أمَّا «أحمد» فقد أمسك القائد بقوة، فظلت السيارة تتأرجح حتى توقَّفت، وكانت هذه فرصة «رشيد» الذي ضرب السائق بقوة مرة أخرى.

وبذلك كانت هناك معركتان؛ واحدة في السيارة، بين القائد و«أحمد»، وبين السائق و«رشيد»، والأخرى على الأرض، بين «فهد» و«عثمان» والرَّجلين. استطاع قائد المجموعة أن يُمسك ذراع «أحمد» ثم جذبه بقوة، إلا أنَّ «أحمد» وضع قدمه في الحاجز بين قسمي السيارة، فأصبح من الصعب على القائد أن يُكمل جذْبَه إليه. أمَّا السائق فشعر بأن رأسه يدور من ضربتَي «رشيد»؛ فقد استطاع «رشيد» أن يقفز به من السيارة، ثم يُسدد له ضربة قوية أطاحَت به.

فجأة، كان «عثمان» و«فهد» قد أنهيَا معركتهما، وانضمَّا إلى «أحمد». جذب الاثنان قائدَ المجموعة بعنف، فسقط بينهما على الأرض. شعر «أحمد» بأنَّ ذراعه تؤلمه، لكن لم يكن هناك وقتٌ لذلك، ولم تمضِ عشرُ دقائق حتى كان الشياطين قد أنهوا المعركة.

أخذ كلٌّ منهم ثيابَ أحدِ الرجال، ورغم أنَّها كانت ضخمة إلا أنهم استطاعوا أن يتصرفوا فيها وأن يلبسوها. في نفس الوقت الذي قيدوا فيه الرجال، وأخفَوهم بين المزروعات، قفز «رشيد» إلى عجلة القيادة في السيارة، وقفز بقية الشياطين فيها، ثم أخذوا طريقهم في اتجاه المدينة، بعد قليل ظهرَت بوابة، كان عليهم عبورها، ضغط «رشيد» لاسلكي السيارة، فانفتح باب البوابة ومرُّوا في هدوء، وفجأةً اصطدمَت أعينُهم بالمدينة، مدينة ضخمة بيضاء اللون تحوطها الخضرة من كل مكان.

قال «أحمد» بسرعة: علينا أن نُحيطَ المدينة بالمواد الحارقة؛ فهي مليئة بالمواد الكيماوية، ولو اشتعل حريقٌ فإنَّ إطفاءه يُصبح صعبًا.

اتجه «رشيد» بالسيارة إلى مكان انتظار السيارات خارج المدينة، ثم غادروا السيارة، اتجه اثنان جهة الشرق، واثنان جهة الغرب، وحددوا النقطة التي سوف يلتقون فيها. كان «أحمد» و«فهد» في اتجاه الشرق، و«رشيد» و«عثمان» في اتجاه الغرب. أخرج «أحمد» من حقيبته زجاجة صغيرة، ثم بدأ يرش مسحوقًا لاصقًا يتمدد باستمرار؛ ولذلك فإنه كان يرش في مسافة ويترك الأخرى، ثم يتمدد المسحوق ليصنع في النهاية خطًّا ... متصلًا يحوط المدينةَ كلَّها. استغرقَت العمليةُ خمسَ ساعات، حتى إنهم عندما التقَوا مرة أخرى كانت المدينة داخل حزام من المسحوق اللاصق الشديد الانفجار. كان النهار قد اقترب من نهايته، فقال «أحمد»: نحتاج لبعض الراحة حتى يدخل الليل. إن عملية رش المسحوق كانت شاقة فعلًا.

انضم الأربعة إلى بعضهم، واختفَوا داخل حزمة من نباتات السافانا. أخرج «أحمد» خريطة للمدينة، ثم بسطها أمام الشياطين، وحددوا منافذ الدخول وأماكن العلماء.

قال «أحمد»: أحسن وقت هو ساعة العشاء؛ فسوف يكون العلماء جميعهم في مكان واحد.

مرَّت لحظة قبل أن يقول: إنَّ مساكن العلماء كما هو واضح على الخريطة تقع في نهايتها ... إنني أُفكر في الدخول إلى حيث يوجد د. «جوفير»، إنه يستطيع أن يُساعدنا تمامًا.

سأل «فهد»: هل تتحرك الآن؟

رَدَّ «أحمد»: إنَّ هذا هو أنسب وقت.

أضاف بعد لحظة: عندما أنتهي من لقاء د. «جوفير» سوف أُرسل لكم رسالة.

وفجأة قفز من بينهم، بينما كانت أضواء لمبات الكهرباء قد بدأت تنتشر في المدينة، كانت هناك بوابة قريبة، التصق بجوار السور الذي يحوط المدينة، ألقى نظرة سريعة فوجد الحارس يقف في يقظة كاملة. أخرج كُرة دخان صغيرة، ثم دفعها برفق في اتجاه الحارس ... لحظة ثم بدأ الحارس يسعل، كانت فرصة؛ فقد قفز بسرعة، ثم ضربه ضربة جعلَته يصطدم بالحائط خلفه، جرَّه إلى داخل حجرته الصغيرة التي تقع بجوار البوابة، ثم نزع ملابسه ولبسها بسرعة، قيده وأدخله دورة المياه، وأغلق باب الحجرة واحتفظ بمفتاحها، ثم مشى في خطوات هادئة في اتجاه مساكن العلماء. قابله بعضُ العاملين، فرفع يدَه يحيِّيهم ... وردوا التحية. ابتسم في نفسه؛ فالأمور تمشي بشكل طيب. عند بوابة المساكن كان هناك أحد الموظفين اقترب منه في هدوء، وعندما وقف أمام مكتبه أسقط كرة دخان بينما كان يتحدث إليه، لحظة ثم أخذ الموظف يسعل. انتهز «أحمد» الفرصة، وسحب الدفتر الذي أمامه. عرف أنَّ مسكن د. «جوفير» هو الغرفة رقم «٩٨». قفز بسرعة، كان ظلام الليل قد أحاط المدينة، وبدأت أنوارها تلمع في بعض الأماكن فيها. تقدَّم بسرعة في اتجاه المبنى الذي تقع فيه الغرفة «٩٨»، وعندما دخله كانت مفاجأة؛ فقد وجد نفسه وجهًا لوجه أمام د. «جوفير»، نظر له الرجل في دهشة، إلا أنَّ «أحمد» جذبه من يده في رفق إلى داخل غرفته، وبسرعة شرح له كلَّ شيء. كان الرجل ينظر إليه في دهشة، وقد ملأَت وجهَه ابتسامةٌ طيبة، وفي دقائق كان قد اتفق معه على كلِّ شيء، ثم خرج معه في هدوء. اتجه د. «جوفير» إلى المطعم في الوقت الذي اتجه فيه «أحمد» إلى البوابة، لكن المسألة لم تكن سهلة؛ ففجأة تردَّدَت صفارات الإنذار، وخرج الحراس من كل مكان. التصق «أحمد» بجدار أحد المباني ووقف يرقب. كانت المدينة قد انقلبَت رأسًا على عقب. فجأة هبط شيءٌ ثقيل على كتفه. التفتَ بسرعة فوجد عملاقًا يُمسك بكتفه. لم يُضِع وقتًا، قفز بقوة واصطدم بالعملاق الذي تأرجح، وكانت هذه الحركة كافية لأن يقفز «أحمد» في الهواء يضربه بقوة، فأوقعه على الأرض، وقبل أن يستعيدَ توازنه للوقوف كان قد قفز مرَّة أخرى، ونزل على العملاق، فصرخ العملاق من الألم. في نفس اللحظة كان «أحمد» قد أخرج حبلًا ينتهي بخطاف، ثم رمى به في براعة، فاشتبك في نهاية السور، وفي رشاقة صَعِد بسرعة حتى أصبح خارج المدينة، وعندما لامسَت قدماه الأرض أعطى إشارة للشياطين، ثم أرسل رسالة سريعة إلى رقم «صفر»، فجأة شاهد النار تجري في المسحوق اللاصق بسرعة رهيبة،

وارتفع لهيب النار إلى ما فوق السور، حاصرَت النار المكان فأصبح وكأنه النهار. جرى بسرعة في اتجاه الشياطين الذين كانوا يحرسون البوابة، وفجأةً ملأَت وجهَه سعادةٌ غامرة؛ فقد شاهد العلماء يخرجُون من البوابة، وفي مقدمتهم د. «جوفير»، في نفس اللحظة سمع أزيز طائرات، وامتلأ الفضاء بطائرات ... الهليوكوبتر التي هبطَت في الضوء الذي كان يملأ المكان. وقف الشياطين ينظرون إلى رجال الشرطة وهم يدخلون المدينة ... في الوقت الذي كان العلماء يتجهون إلى الطائرات، ووقعَت عينَا «أحمد» على العالِمَين العربيَّين. في نفس اللحظة ... وصلَته رسالة من رقم «صفر» يهنئ الشياطين بنجاح مغامرتهم، ويطلب منهم العودة سريعًا، بينما كان هناك عددٌ كبير من العاملين في المنظمة يخرجون مكبَّلين بالحديد في حراسة الشرطة.

فجأة هدأ اشتعال النار، وساد المكانَ هدوءٌ عميق لم يقطعه سوى صوت الطائرات التي بدأت تحلِّق في طريق العودة. تقدَّم أحد رجال الشرطة وحَيَّا الشياطين تحيةً عسكرية وهو يقول: إنني من رجال الأمم المتحدة، لقد صنعتم شيئًا رائعًا.

تبادلوا التحية، ثم أخذوا طريقَهم إلى إحدى سيارات الشرطة التي قامت بتوصيلهم إلى سيارتهم. وعندما استقلوها أخذ «عثمان» يُغنِّي أغنيته السودانية المفضلة، بينما السيارة تقطع الطريق في هدوء.

وقال «أحمد»: إنَّ المسحوق اللاصق أعطى نتيجة هائلة؛ فهو يصنع نارًا لا تحرق.

وضحك الشياطين وهم يشتركون مع «عثمان» في الغناء.

هنـــداوي